Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

صراع الامبراطورية البيزنطية مع ايطاليا وبلاد فارس خلال عهد جستنيان (527-565) – دراسة تاريخية

م.م. شيماء رزاق شاكر

كلية الطب- جامعة الكوفة-العراق

ramyiq@gmail.com

الملخص: يعتبر عهد جستنيان (527-565) من اهم العهود في القرن السادس الميلادي، ليس للإمبراطورية البيزنطية وحسب, بل للدول المجاورة لها, لما تميز به عصره من كثرة الحروب وخاصة ايطاليا وبلاد فارس، فكانت حروبه الاولى هجومية, لأنه اراد تحرير ايطاليا من القوط وارجاعها الى املاك الامبراطورية الرومانية, لما لها من مكانة تاريخية ودينية كبيرة لدى العالم المسيحي، فأراد ان يكون اكبر واهم حاكم مسيحي في العالم بعد ان يحررها من المحتلين, اما حروبه مع بلاد فارس فكانت دفاعية, لأنه صادف عهده عهد كسرى والذي يعد من اهم واكبر ملوك عصره, وقد عرف العداء بين الدولتين منذ توليهما الحكم, وعلى الرغم من انتصاره في ايطاليا وتحريرها من القوط, الا انها كلفت الامبراطورية الاموال والانفس الكثير, كما ان حربه ضد الفرس ادت به في النهاية الى دفع الجزية السنوية لكسرى, وبهذا فأنه لم يزد الامبراطورية في عهده سوى الفقر والضرائب ونقص في السكان .

الكلمات المفتاحية: البيزنطية، الصليبية، جستنيان

The Conflict of the Byzantine Empire with Italy and Persia during the Reign of Justinian (527-565) – A Historical Study

Shaimaa Razzaq Shakir

College of Medicine – University of Kufa- Iraq.

ramyiq@gmail.com

Abstract: The era of Justinian (527-565) is considered one of the most important periods in the sixth century AD, not only for the Byzantine Empire but also for its neighboring countries. What distinguished his reign was the multitude of wars, particularly with Italy and Persia. His initial wars were offensive in nature, as he sought to liberate Italy from the Goths and restore it to the holdings of the Roman Empire. Italy held great historical and religious significance in

the Christian world, and Justinian aimed to become the largest and most significant Christian ruler in the world after freeing it from occupiers .As for his wars with Persia, they were defensive in nature, as his reign coincided with the era of Chosroes, one of the most important and largest kings of his time. Hostility between the two nations had been known since their assumption of power, and despite Justinian's victory in Italy and its liberation from the Goths, it came at a considerable cost to the empire in terms of finances and lives. His war against the Persians ultimately led him to pay an annual tribute to Chosroes. Consequently, the empire did not experience anything during his reign but poverty, taxes, and a decrease in population.

Keywords: Byzantine, Crusades, Justinian.

المقدمة

يعتبر الامبراطور جستنيان الاول (527-565) واحدا من اهم الاباطرة الرومان الذين حكموا الامبراطورية البيزنطية، لما مرت به الاخيرة خلال عهده بعدة احداث داخلية وخارجية مهمة، غيرت في احداث تاريخ العصور الوسطى في اوربا، ولعل اهم تلك الاحداث حروبه في ايطاليا ومع بلاد فارس، فقد حاول جستنيان ان يبني دولة مترامية الاطراف ويعيد لها مجدها السابق عن طريق توسيع حدودها واسترجاع اراضيها التي نهبت.

نظام الدراسة

اعتمد البحث المنهج التاريخي والوصفي، والحرص على التسلسل التاريخي في مجريات الاحداث، مع التحليل في بعض الاحداث التي تحتاج لذلك.

مشكلة الدراسة

انقسمت حروب جستنيان في الشرق والغرب، ففي الشرق حارب القوط الشرقيون في ايطاليا لأجل تحريرها وارجاعها الى املاك الامبراطورية ولإعادة احياء الدولة الرومانية المسيحية الكبرى، ليكون حاكما على أكبر دولة مسيحية في اوربا، اما حربه مع بلاد فارس، فقد كانت اقتصادية دينية، وذلك لارتباط تجارة الحرير عبر بلاد فارس، والتي كانت تحكم من قبل كسرى، وتجدر الاشارة الى ان تلك الحروب شهدت فترات عقد معاهدات وهدنة وسلم بين الاطراف المتنازعة، وفترات اخرى شهدت حروبا وحملات عسكرية، راح ضحيتها الالاف من الجنود والسكان.

فرضية البحث

في ضوء ما تقدم اصبح البحث في الصراع البيزنطي الايطالي والفارسي من المواضيع المهمة لارتباطها بشكل رئيسي بتاريخ العصور الوسطى في اوربا والشرق, ومن ناحية اخرى للوقوف على حيثيات ذلك الصراع واحداثه ليتسنى للباحثين في تاريخ العصور الوسطى على ارهاصات تلك الحروب, وقد تحدد زمن البحث بالمدة التاريخية التي حكم بها جستنيان 527-565 و سنحاول بيان الوسائل التي اتبعها في حروبه تلك و ما هو العائد من تلك الحروب و هل تمكن من ارجاع اراضي بيزنطة المنهوبة ام كانت مجرد حروب لا طائل منها سوى اهلاك البلاد بحروب دموية فتاكة.

اهداف البحث

يهدف البحث الى التعرف على الاسباب والعوامل التي دفعت جستنيان على الصراع مع ايطاليا وبلاد فارس وهل استفادت الامبراطورية من تلك الحروب ام لم تستفد شيء.

اهمية البحث

يعرف الباحثين على العلاقات الخارجية للدولة البيزنطية في عهد جستنيان خاصة مع ايطاليا وبلاد فارس ويفتح لهم ابواب للبحث في هذا المضمار أكثر.

حدود البحث

تحدد البحث بالمدة التي حكم بها الامبراطور جستنيان من 527–565.

الدراسات السابقة

وعلى الرغم من وجود دراسة سابقة حول حروب جستنيان قامت بها الدكتورة نادية محمود فرحان بعنوان (حروب الامبراطور جستنيان (527–565) في المراجع والمصادر العربية والبيزنطية، الا ان البحث قد تناول موضوع حروب جستنيان مع ايطاليا ولكن بشكل مختصر، بينما تم تناول هذا الموضوع بشكل مفصل في هذا البحث ، اذ بينا بداية العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية وبلاد فارس و ايطاليا و ماهي الاسباب التي دفعت الامبراطور الى اعلانه تلك الحروب ، وتم دراسة الحملات العسكرية المرسلة لكلا الدولتين من قبل بيزنطة وما هي المعوقات التي واجهتها و ما النتائج من تلك الحروب سواء على ايطاليا و الفرس من جهة او على بيزنطة من جهة اخرى ، كما تم بيان دوافع ذلك الصراع من قبل ايطاليا و بلاد فارس ولماذا حاولوا السيطرة على اراضي هي بالأساس تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، كما ان الدراسة السابقة قد تطرقت الى كل حروب الامبراطور موضوع الدراسة خلال كل عهدة ، بينما ركز بحثنا على صراعه مع دولتين فقط ، ليتم دراسته بشكل مفصل و دقيق قدر الامكان.

خطة البحث

انقسم البحث الى:

اولا: أ – اوضاع بيزنطة وايطاليا قبل الحرب

ب– الحملات العسكرية البيزنطية على ايطاليا ونتائجها

ثانيا: أ– العلاقات البيزنطية الفارسية عهد جستنيان

ب–القتال العسكري بين الدولتين.

اولا: أ – اوضاع بيزنطة وايطاليا قبل الحرب

عند حلول القرن السادس الميلادي, حلت مشاكل الشرق العنصرية (Al–Bāz, 1965, p. 65) (Rabī‘, 1983, p. 43)، واتسمت الامبراطورية البيزنطية بالدبلوماسية مع الدول المجاورة لها في الشمال والشرق والجنوب, واتخذت عدة وسائل للسلم منها المعاهدات (Alqrywny, Wa–‘Abd Al–Hādī, 2023, p.4) او اعطاء الاموال, ولم تلجأ الى الوسائل العسكرية فقط مع الغرب او الجرمان او القبائل السلافية والمسلمين(Brwkwbyws, 2001, p. 47)، الا انها بقيت تعاني من تلك الهجمات البربرية والتي بدأت منذ القرن الرابع الميلادي وكانت على شكل غزوات منظمة, الهدف منها الاستقرار

في اراضي الامبراطورية البيزنطية (Durant, 1973, p. 220) (ʿAṭā, N.D., p. 3)، وتعتبر القبائل الجرمانية من اشد تلك الهجمات. وعند اعتلاء الامبراطور جستنيان (527–565)–(Nykwl, 2003, p. 104) (Hsy, 1997, p. 92) (105، بدأ بالتفكير في استرداد الاراضي التي كانت بيد الجرمان وخاصة ايطاليا، من جهة ومن جهة اخرى حاول ان يتصدى لبلاد فارس التي كانت تتحين الفرص للاستيلاء على اراضي وممتلكات الامبراطورية البيزنطية من جهة اخرى.

اتسمت العلاقات البيزنطية الايطالية خلال عهد الامبراطور جستنيان في بداية حكمه, بأنها كانت سلمية, و لم تشهد معارك بين الطرفين ، وذلك لانشغال جستنيان بتثبيت حدود دولته و القضاء على الصراعات الداخلية في داخل الامبراطورية البيزنطية ،من جهة ، ومن جهة اخرى كانت ايطاليا مشغولة بالصراعات الداخلية داخل المملكة والصراع على العرش فيها ، فبعد وفاة ملك ايطاليا ومؤسس مملكة القوط الشرقيين فيها ثيودريك عام 526، خلفه حفيده اثالاريك ذو العشرة اعوام, لذا كانت امه امالاسونتا الوصية عليه, وكانت الملكة موالية للإمبراطورية البيزنطية وارادت ان يتعلم ابنها التعليم الروماني ويتثقف بالثقافة البيزنطية (ʿĀshūr, 1976, p. 72) (al–Ḥaydarī, 1986, p. 289) (Faraj, 1982, p. 71–72).

دفعت جستنيان عدة اسباب لإعلانه الحرب على القوطيين، ولعل من اهمها ان جستنيان اعتبر نفسه امبراطورا رومانيا وحاكما مسيحيا, فأراد ان يحكم الامبراطورية الغربية والشرقية معا, وخاصة روما العاصمة المسيحية القديمة (Sālyfān, 1985, p. 51) (ʿAbd al–Ḥamīd, 2002, p. 15)،على الرغم من فقدانها مركزها الاستراتيجي المهم الذي كانت تتمتع به في العصور القديمة, الا انها بقيت لها مكانة خاصة لدى الرومان (Hsy, 1997, p. 95)، اي ان يحافظ على نموذج روماني قديم عن طريق اعادة بناء الغرب, ويصبح صاحب اكبر لقب مسيحي في العالم، وبذلك يتمكن من توحيد الامبراطورية باسترداد اراضيها من القوط(Brwkwbyws, 2001, p. 48) (ʿUbayd, 1977, p. 136)، كما ان السكان في ايطاليا كانوا يتطلعون الى القسطنطينية لتخليصهم من المتبربرين, ويريدون تحريريهم من قبل الرومان لإعادة العقيدة المسيحية الصحيحة, بسبب ما عانوه من اضطهادات دينية وطائفية مع الجرمان, وكانت الكنيسة ناقمة على القوطيين(Al–Bāz, 1965, p. 69).

كان جستنيان يعتبر نفسه الحاكم المسيحي، فكان يتحتم عليه انقاذ السكان من الجرمان الأريوسيين، فقد كان الرومان يعتبرونهم محتلين وكفرة ولا يمكن للسكان الايطاليين ان يخضعوا لهم (ʿUmrān, 2000, p. 55)، اذ كتب جستنيان " ... ان القوط لما استولوا على ايطاليا التابعة لنا، عنوة واقتدارا، رفضوا ان يردوها لنا..." (ʿUmrān, 2000, p. 68)، ومن هذا المنطلق اعتقد انه من واجبه اعادة بناء امبراطورية رومانية جديدة ويكون هو حاكما عليها.

عانت الامبراطورية البيزنطية من سوء الاوضاع الداخلية في بداية حكم الامبراطور جستنيان, ومن اهم تلك المشاكل كانت الضرائب وعدم انتظام جبايتها, وانتشار الفقر والاضطرابات الداخلية, و انتشار الفساد والرشاوي فيها ، و افراغ خزينة الدولة لتسليح الجيش و وتجهيز الحملات العسكرية التي كانت عهد والده، وبالتالي ادى الى انتشار الفقر و البطالة و كثرة القلاقل و الفتن الداخلية ، وكان اكثر المتضررين من تلك الاجراءات هم الفلاحين الذين هملوا اراضيهم و قلة المزروعات لان الضرائب كانت لا تسد نفقات الانتاج، فأراد جستنيان التخفيف من سوء تلك الاوضاع الاقتصادية و ان يصلح نظام الحكم والتخفيف من الاعباء المالية على الفلاحين, وذلك بانتزاع ايطاليا من يد البرابرة الجرمان للاستفادة منها ومن مواردها الاقتصادية(Faraj, p. 66) (Bynz, 1950, p. 55).

كان السبب المباشر لإعلان الحرب على القوط الشرقين ان خلافا قوميا نشب بين فئتين في عهد الوصاية, فالقسم الاول هم الموالين للإمبراطورية البيزنطية يشمل الملكة واتباعها, اما القسم الاخر فهم المناهضين للرومان, وقد ثار هؤلاء ضد الملكة ورفضوا ان يتعلم ملكهم الصغير التعاليم الرومانية, ودبروا محاولة لقتله ونجحوا فيها عام 534(Al–Yūsuf, 1984,

p. 58)، نصبت امالاسونتا نفسها ملكة على ايطاليا خلفا لابنها المقتول, وتزوجت من ابن عمها ثيوداد, ليكون حليفا لها ومناصرا ضد المناوئين لحكمها وتكون هي الملكة وزوجها ملكا اسميا, ويساعدها في ادارة الدولة(Fisher, 1976, p. 49), الا انه قاد حركة معارضة ضدها وتم سجنها ثم قتلها في نيسان عام 535 (Ṣabrah, 1982, (Faraj, p. 72) (p. 20, مما اثار غضب الامبراطور جستنيان واعتراضه على مقتل حليفته الملكة وقرر بدأ الحرب ضد القوط الشرقيين في ايطاليا(al-Yūsuf, p. 58) ('Awaḍ, 1998, p. 98-99).

ب- الحملات العسكرية البيزنطية على ايطاليا ونتائجها

ارسل جستنيان حملتان عسكريتان الى ايطاليا للضغط على ثيوداد والخضوع للإمبراطورية البيزنطية, توجهت الاولى الى صقلية بقيادة القائد بليزاريوس(Brwkwbyws, 2001, p. 11) في ايلول من العام 535, وبلغ عدد تلك الحملة 7500 الف مقاتل(Fisher, 1976, p. 49) وتمكن من السيطرة عليها بسهولة، كما حاصر نابولي عشرون يوما وتمكن من احتلالها, فهرب حاكمها ثيوداتيوس, والتجأ الى روما حيث قتل هناك, اما الحملة الثانية فاتجهت الى دالماشيا بقيادة القائد هوندوس قائد الفرق الرومانية, واستطاع احتلالها دون اية مقاومة, وفي تلك الاثناء ارسلت الامبراطورية البيزنطية سفارة لإيطاليا, لفرض شروط عقد السلام(Faraj, p. 73)، وكتب جستنيان قائلا " ... لقد منحنا الله القدرة لنجبر الفرس على عقد السلام, ولنقضي على الوندال, والالان والبربر , وان نسترد كل شمال افريقية وصقلية واننا واثقون ان الله سيمنحنا القوة والقدرة لنسترد بقية امبراطوريتنا التي مدها الرومان الاوائل على مد المحيطين, قسم فقدها الرومان بعد ذلك بسبب قلة اكتراثهم..." ('Umrān, 2000, p. 58) .

بعد انتصارات جستنيان على الفرس التي استمرت من 537-538 ، استقر الوضع في الامبراطورية ، الا ان الوضع لم يستمر طويلا ، اذ هجم الفرنجة وملكهم ثيوداد ، الذي ارسل للقوط قوة دعم مكونة من عشرة الاف مقاتل ، و بفضلهم تكمن القوط من استرجاع ميلانو و قتل الحامية البيزنطية فيها واسر النساء و الاطفال ، ولكن القائد البيزنطي بليزاريوس لم يستسلم وتمكن من فرض سيطرته مرة اخرى على ميلانوا واسترجاعها منهم ، بعد ان كبدهم خسائر جسيمة ، وفي تلك الاثناء استمرت مفاوضات جستنيان حتى وافق القوط على انسحاب قواتهم الى ما وراء النهر و يسلموا للبيزنطيين ما حصلوا عليه من ممتلكات بين نهر البو و حدود الامبراطورية ، فوافق جستنيان على هذا الاتفاق ، عكس قائد قواته بليزاريوس الذي فضل القتال ، خاصة ان النصر كان قريبا للبيزنطيين ، وفي عام 540 تمكن بليزاريوس عام 540 من الوصول رافنا و الاستيلاء على خزنتها و القبض على ملكهم فيتجيز و رجع الغنائم لبيزنطة.

بعد مقتل ثيوداد نصب القوط حاكما عليهم يدعى وتيك 536-540، لم يكن من القوة والصلابة على مواجهة البيزنطيين, فقد حاول مواجهة جستنيان فعمل على ارسال غالبية قواته الى رافينا لمواجهة الرومان, وترك قوة عسكرية صغيرة في روما, الامر الذي مكن بليزاريوس التوجه لها واحتلالها في('Umrān, 2000, p. 58) العاشر من كانون الاول عام 539, فحاصرتهم القوات القوطية لمدة سنة كاملة, وقد عانت روما من قلة المياه وانتشار الطاعون والمجاعة(Rustum, 1956, p. 186-188)، وحاول الرومان ارسال حملات لرفع الحصار عن روما, وذلك بإرسال حملة لمحاصرة رافينا عاصمة القوط وتمكن بليزاريوس من احتلالها واسر وتيك في ايار عام 540, فرفع القوط الحصار عن روما وتوجهوا لرافينا للدفاع عنها، الا ان القوط تمكنوا من النهوض مجددا في عهد ملكهم توتيلا (541-552) وتمكنوا من استرجاع غالبية الاراضي التي اخذها جستنيان بما فيها نابلي عام 543 وروما عام 550, وقد اراد ان يتمكن من حكم ايطاليا وبنفس الوقت ان يكون تابعا للإمبراطورية ودفع الجزية السنوية، ولكن جستنيان لم يوافق على ذلك, اذ ارسل حملة بقيادة نارسيس وكان معروفا بقدراته العسكرية وجراءته(Al-Shaykh, 1994, p. 50)، وبلغ تعداد الحملة حوالي الخمسة والثلاثين مقاتلا واشتبك مع

القوط في معركة(Basta Galloru) في امبريا قرب بحيرة تراسمين, واستخدم فئة الرماة المشاة مع الزراقين في وقت واحد اثناء الهجوم, وكانت تستخدم هذه الطريقة لاول مرة في العصور الوسطى واستخدمها فيما بعد الانكليز ضد الفرنسيون, وقد تعقب ناريس الجيش القوطي الهارب (Fisher, 1976, p. 50)، ومات خلالها توتيلا, ليعتلي العرش القوطي تياس (552–553) الذي حاول جاهدا مواصلة المقاومة, ولكن دون فائدة تذكر, وبهذا تمكن نارسيس من القضاء من الجبهة الايطالية, وتم نقل قسم من القوات القوطية الى اسيا الصغرى للاستفادة منهم خلال حروب الامبراطورية ضد الغرب(Al–Yūsuf, 1984, p. 59)، وهكذا وبعد عشرون عاما من الحروب انضمت ايطاليا وصقلية و دالماشيا للإمبراطورية البيزنطية والى الكنيسة(Al–Bāz, 1965, p. 73).

تعرضت ايطاليا خلال ذلك الصراع الوانا من الدمار والخراب, فقد اعتبر الايطاليون ان البيزنطيون والقوط اجانب وليسوا رومانيين, اذ اكثر الفريقان من القتال والمذابح فيما بينهم, منها مذبحة ابادة القوطيين والبرجنديين عام 539 لجميع الذكور من مدينة ميلان, ويقدر عدد الضحايا حوالي ثلاثمائة الف نسمة, حسب تقدير المؤرخ بروكوبيوس, وكان جستنيان قد ارسل لجنة مالية عام 540 برئاسة اسكندر, الذي كان قاسيا وجشعا, استخدم كل وسائل العنف في جباية الضريبة من السكان الايطاليين, مما ادى الى تذمر الناس من البيزنطيين(Al–Shaykh, 1994, p. 49) كما تعرضت ايطاليا الى مجاعة كبيرة, اذ اضطر الفلاحين الى اكل ثمار القسطل والحشائش, اما العاصمة روما, فقد تعرضت للحصار خمس مرات, مما ادى الى اندثار المدينة واختفاء الحمامات الفخمة, وانعدام مراكز توزيع الاغذية المجانية, واضحت المدينة خاوية من السكان عدا فئات قليلة اغلبهم من رجال الدين, وانتشرت الملاريا والمياه الاسنة طوال العصور الوسطى, ولم يبقى وجود لمجلس الشيوخ (السناتو), كما لم يسلم ملعب السباق وتبقى منه فقط الاحجار, وانتهى عصر الاحتفالات والمواكب الحربية وانتخاب القناصل, وانعدمت التجارة والصناعة ودمرت الزراعة(Fisher, 1976, p. 51).

اما بالنسبة الى الامبراطورية البيزنطية، فأن جستنيان وبسبب اطماعه الكبيرة، فقد أضر بالإمبراطورية، لانه لم تكن لبيزنطة المقدرة العسكرية تمكنه من مواصلة توسعاته، فاحتفاظه بإيطاليا وافريقيا واسبانيا، التي استطاع الاستيلاء على بعض موانيها في احدى حملاته الحربية، كان امرا مستحيلا لان حربه ضد القوط في ايطاليا ادت الى كارثة، ولو عمل جستنيان على مهادنة القوط والاستفادة منهم في حماية أطراف إمبراطورتيه من العناصر الهمجية الضاربة ما وراء جبال الالب (Fisher, 1976, p. 50).

لم يتمكن جستنيان من الاحتفاظ بإيطاليا وادارتها بشكل حازم, اذ كان ارخون رافنا (النائب الامبراطوري بإيطاليا), اضعف من ان يسيطر على ايطاليا على جميع البلاد(Rāyly, 1985, p. 149), ولم يتمكن من ان يحميها من هجمات الموجات الجرمانية المتدفقة ومنهم اللومبارديون الذين امتدوا لإيطاليا تحت قيادة البوين, وتمكنوا من احتلال ايطاليا عام 568 (Fisher, 1976, p. 52) ، كما تعرضت الامبراطورية البيزنطية لجملة من الاخطار والهجمات البربرية جراء حروب جستنيان في ايطاليا، اذ هجم الهون(Rāyly, 1985, p. 149) على القسطنطينية وكادوا ان يستولوا عليها, كما احتل الصقالبة ادرنة, ونهب الفرس انطاكيا, ووقفت الامبراطورية عاجزة عن حماية قرى جزيرة البلقان من هجمات البرابرة, وذلك كله بسبب صرف الاموال الطائلة من اجل حرب ايطاليا، بدلا من صرفها لتقوية الاطراف وحماية الحدود, خاصة في الجهات الشرقية وشبه جزيرة البلقان (Rāyly, 1985, p. 149).

كان عهد جستنيان سببا في بدأ التقهقر الديمغرافي، اذ بدأت مدن كبرى بالتراجع مثل انطاكيا وخسرت الامبراطورية حوالي العشر ملايين من السكان في حرب ايطاليا وافريقيا، وأصبح عدد سكان روما لا يتجاوز الثلاثين ألف نسمة (Klūd, 2008, p. 47).

ثانيا: أ- العلاقات البيزنطية الفارسية عهد جستنيان

كانت العلاقات البيزنطية الفارسية تتسم بالطابع العدائي والعسكري بين الدولتين, وكانت المشكلة الرئيسية بينهما هي الحدود, وهذا ادى الى ان تكون الدولتان في صراع مستمر ، لأسباب تجارية اولا ، اذ كانت تجارة الحرير من اهم العوامل التي تسببت بالعداء المستمر بينهما ، وعوامل دينية ، فقد اعتبر البيزنطيون ان بلاد فارس كفرة و لا يدينون بديانة سماوية و انهم يضطهدون المسيحيون في بلادهم، اما مشاكل الحدود فتعد واحدة من اكثر العوامل التي ادت الى الصراع المستمر ، فهنالك مدن حدودية غنية بالموارد التجارية وموقعها الإستراتيجي ، حاول كل طرف الاستحواذ عليها بحجة انها تابعة له ، فمثلا الممرات الخزرية الواقعة ابريا(جورجيا) (Al-Maghribī, 2002, p. 9) التي تعتبر مراكز استراتيجية للطرفين وحاول الطرفان السيطرة عليها، وتمكن الفرس في عهد الملك قباذ(488-531) (kwtwzyān, 2014, p. 73-74) من السيطرة على تلك الممرات (Al-Yūsuf, 1984, p. 60)، مما جعلها بداية عهد جديد من الصراع بين الدولتين، كما ان الحصون الفارسية كانت مقابلة للحاميات العسكرية البيزنطية في دارا الواقعة في الجهات الشمالية لبلاد الرافدين, مما ادى الى احتكاك مباشر بين الطرفين وسببا للصراع بينهما (Faraj, 1982, p. 82) .

ان طرق التجارة بين الهند والصين تمر على طول القوافل عبر اراضي الدولة الفارسية برا، وبحرا عبر المحيط الهندي، وقد ادت الحروب مع الفرس الى تذبذب تلك التجارة وانقطاعها في اوقات الحروب، واحتكر كسرى (501-579)

(Byghwlyfskā, 1985, p. 65) (Kwtwzyān, 2014, p. 75) طريق المحيط الهندي, كما احتكر نقل الحرير الى القسطنطينية, فقد عمل الاثيوبيين على نقل تجارة الشرق الاقصى, مثل البهارات والتوابل, ولكنهم لم يعملوا على نقل الحرير , وبهذا لا تمر تجارة الحرير بالبحر الأحمر (Al-shā'ir, 1989, p. 56), بسبب احتكار الفرس لكل تجارة الصين, وهذا لم يعجب الامبراطورية التي كانت تعاني من نقص حاد في الحرير , وحاول جستنيان انهاء احتكار الفرس بالتفاوض مع الحبشة (اثيوبيا) ليقوموا بنقله من ميلان الى مصر , الا انه لم ينجح في ذلك, اذ لم يتمكن الاثيوبيين من منافسة الفرس في تجارة الحرير (Faraj, 1982, p. 81-82) (Hāyd, 1985, p. 18) (Ghunaym, 1977, p. 56).

يرجع بعض المؤرخين ان أصل الصراع بين الدولتين خلال القرن السادس الميلادي، ان قباذ عندما بلغ الثمانين من عمره، اراد ان يولي ابنه كسرى ولاية العهد من بعده، واراد التعاقد مع جستين على ان يتبنى كسرى ويحميه، وبعد مشاورة جستين رجال بلاطه وافق بشرط ان يكون التبني وفق الطريقة العشائرية الالمانية، ولم يعجب ذلك الملك الفارسي، فأضمر حقده على البيزنطيين وبدأ باستغلال اية فرصة تسنح له لمحاربتهم (Rustum, 1956, p. 186).

ب-القتال العسكري بين الدولتين

مر الصراع البيزنطي الفارسي في عهد جستنيان بمرحلتين الاولى (527-532) والثانية (540-562)، فكان السبب المباشر لإشعال الحرب عام 527 عندما حرض قباذ حاكم الممرات الخزرية (جورجيا)، التي تدين بالمسيحية, امرهم بعدم دفن موتاهم وتعريضهم للطيور تطبيقا للديانة الزرادشتية(kwtwzyān, 2014, p. 73-74) التي كان يدين بها, فاستنجدوا بجستيان الذي جهز جيشا بقيادة بليزاريوس وتوجه لجورجيا واصطدم بالجيش الفارسي، وكان النصر تارة للفرس وتارة اخرى للبيزنطيين، وعند انشغال بليزاريوس في حربه ضد الوندال, حاصر الفرس مدينة مرثيوبولس, الا انها انتهت تلك الحملة بسبب وفاة ملك الفرس قباذ وتولى ابنه كسرى من بعده, الذي واجه معارضة واسعة ومحاولة لأبعاده عن العرش، فأراد ان يعقد الصلح مع البيزنطيين ليتفرغ للمشاكل الداخلية في بلاده (Al-Bāz, 1965, p. 70).

كانت شروط الصلح تتضمن ارجاع الحدود بين الدولتين الى سابق عهدها قبل الحرب، ووان تدفع بيزنطة الف رطل من الذهب مقابل تنازل الفرس عن مطالبهم في ايبريا(Faraj, 1982, p. 86), وحماية البيزنطيين الممرات الخزرية وهدم الروم قلاعهم في داراز, وعند رفض جستنيان تلك الشروط المهينة, ارسل كسرى جيشا الى انطاكيا عام 530, وحاول جستنيان الاستعانة بالحبشة والغساسنة للاتحاد ضد الفرس وانهاء احتكارهم للحرير, الا انها باءت بالفشل, اذ ان المنذر اللخمي كان حليفا لكسرى, وهاجم الممتلكات البيزنطية في الشام وهجم على قنسرين جنوب حلب (‘Umrān, 2000, p. 54), ووقعت معركة كولينيكوم الكبرى على جانب الفرات, انتصر فيها الفرس (Al-Yūsuf, 1984, p. 62) ، فرجعت مفاوضات الصلح سنة 533 والتي تضمنت ان تكون داراز خالية من قوات الطرفين واخراج السلاح منها, اضافة الى دفع الذهب لكسرى كجزية سنوية, فأضطر جستنيان على الصلح (Al-Yūsuf, 1984, p. 63), واضطر لدفع المبلغ المفروض عليه, حتى يتمكن من تأمين جبهة الشرق ليتفرغ للحرب مع الغرب (الجرمان), ونتيجة تلك الاتفاقية نقل جستنيان الفرق العسكرية التي كانت مرابطة على الجهة الشرقية الى الغرب والايعاز لها باسترجاع الاراضي التي استولى عليها الجرمان (Al-Yūsuf, 1984, p. 69).

اما الفترة الثانية من الصراع بين الدولتين, فأمتد خلال (540-562), وكانت بسبب ان كسرى خاف من جستنيان بعد ان حقق انتصارات واسعة ضد الوندال والقوط الشرقيون واسبانيا, وخشى ان يحين دوره, فأستغل ان القوط الشرقيون كانوا حلفاء لكسرى, فحرض ملكهم توتيلا عام 540 على مواصلة القتال ضد جستنيان, وبعد استنجاد القوط بكسرى، جهز جيشا وسار به الى بلاد الشام التي اباحها لجيشه, واغار على الفرات ووصل لمنيج والتي جمع سكانها الفي دينار مقابل عدم دخول كسرى مدينتهم فوافق, ثم وصل انطاكيا(Al-Shaykh, 1994, p. 55) التي رابط فيها جرمانوس وحصنها ورمم اسوارها وحصن القلاع المحيطة بها, فحاصرها كسرى وتمكن من دخولها واباحها للنهب والحرق, ولم تنجي ابامية وكنيستها من نهب كسرى ولم يتوقف القتال حتى عرض الصلح(‘Umrān, 2000, p. 55)، اذ وصل الوفد الامبراطوري الذي حاول ايقاف كسرى عن النهب والقتل, وتم الصلح ورجع كسرى لعاصمته طيسفون بعد ان بنى مدينة خاصة للاسرى تدعى انطاكيا كسرى (Rustum, 1956, p. 189) وفي عام 541 تجددت الحرب بعد مهاجمة كسرى اراضي الامبراطورية في ارمينيا وشرق البحر الاسود وايبيريا ولازيكا وحدود الفرات الشمالية بين عامي 542 و544، وبعد مدة تعب الطرفان من القتال لصعوبة القتال في تلك المناطق الجبلية الوعرة, فتم توقيع هدنة عام 544, تعهد فيه الفرس بحماية المسيحيين وحقوقهم بشرط عدم التبشير ونشر الدين المسيحي في اراضي الدولة الفارسية, مقابل دفع جستنيان جزية سنوية (Rustum, 1956, p. 189)، وفي 562 سئم جستنيان من القتال و طلب الصلح من كسرى الذي استغل الفرصة وفرض شروطه و التي كان اهمها هو دفع الامبراطورية البيزنطية الاتاوات السنوية لبلاد فارس و التي تقدر بثلاثين الف قطعة ذهب ، تدفع لسبع سنوات في البداية وبعدها لثلاث سنوات و بعدها تكون بشكل سنوي ، و ينسحب الفرس من لازكيا ، وعقد صلحا لمدة خمسون سنة, واتفقا على تبادل التجارة بين الطرفين في اماكن معينة لكي يجري تحصيل الرسوم (المكوس), وتنازل الفرس عن لازيكا لجستنيان(Al-Bāz, 1965, p. 76)، وكان اهم البنود ايضا

1- ان تحمي بلاد فارس أطراف الامبراطورية المجاورة لها، ولا تسمح لقبائل الهون والالن من الدخول للأراضي البيزنطية خاصة من منطقة الخزر، على ان يتعهد بالمقابل جستنيان بعدم ارسال الجيوش الى تلك المناطق.
2- ان يتعهد الجانبين على عدم تدخل العرب المتحالفين مع الطرفين، وعليهم الالتزام بشروط الصلح ويمنع كل طرف العرب الموالين له من حمل السلاح.
3- السماح للتجار من الفرس والروم بالمرور بالمحطات الجمركية
4- يعامل الموظفين والسفراء معاملة خاصة، وان يتم تكريمهم من الطرفين واعفاء تجارتهم من الرسوم لمكانتهم الرسمية

5- منع البرابرة من السفر من الطرق الفرعية، للتهرب من الجمارك، وحصر الطرق التجارية بنصيبين وداراز، ولا يدخلوا الاراضي الفارسية والبيزنطية بالصفة الا بصفة رسمية، ومن يخالف تلك الشروط سيتم القاء القبض عليه.
6- منع تحصينات الحدود.
7- يعمل الطرفان على عدم ارجاع المنهزمين من الخدمة العسكرية الى اوطانهم سواء اكانوا فرس او بيزنطيين

الخاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع ، وقراءتنا للمصادر المختلفة التي تناولت الامبراطورية البيزنطية خلال عهد جستنيان ، تم التوصل الى نتائج عديدة منها ان الهدف الاساسي لجستنيان في حروبه كانت لإقامة امبراطورية رومانية موحدة ويكون هو على رأسها كأكبر حاكم روماني مسيحي، الا ان سياسته تلك لم تأتي بالنتائج المرجوة منها, لأنها لم تقم على اسس قوية, بل نفذت بطرق عشوائية ومتسرعة, مما ادى الى انهيار كل ما عمله بعد وفاته مباشرة ولم تستمر طويلا, اي انتهت بوفاته ، كما ان قرار استرجاع ايطاليا من القوط خطئا فادحا، لأنه لم يكن مضطرا لقتالهم, والاولى ان يقوي دفاعاته ضد الهجمات البربرية التي كانت تهاجم اطراف الامبراطورية, واستخدام القوات العسكرية لحماية الحدود, بدلا من سحبها للقتال في ايطاليا.

تعتبر الحروب الفارسية البيزنطية حروبا دائميه بسبب تجاورهما، ومحاولة كلا الدولتين التوسع على حساب الاخرى، مما ادى الى فترات قتال طويلة مرة ومرة معاهدات واتفاقيات بسبب المصالح المشتركة والمتمثلة خاصة بالتجارة وحماية الاقليات في البلدين أضف الى ان بيزنطة كانت تعتبر بلاد فارس هي سبب الصراع الدائر بينهما، فقد كان الفرس يبدأون الحرب تارة، وتارة اخرى يحرضون مناصريهم داخل الامبراطورية البيزنطية لبث القلاقل والفروقات، لتتمكن من التدخل في الشؤون البيزنطية.

عمل العرب على اتساع فجوة الصراع بين الدولتين, وذلك عن طريق انقسام ولائهم لاحد الطرفين, فناصر عرب الغساسنة كسرى وبلاد فارس ضد البيزنطيين, بينما كانت الشام مواليه للبيزنطيين ، كما ان جستنيان قد تسبب بأضرار جسيمة في الاموال والانفس لبلاد الشام وارمينيا والخزر , من جراء حربه ضد كسرى, الذي بالغ في القتل والنهب والحرق للمناطق التي كان يصلها, فكانت ضحية لقائدين مغرورين حاولا اثبات ايهما اقوى على حساب تلك البلدان، و لا يفوتنا ان نذكر الخلاف الديني من اهم العوامل التي ادت الى حروب جستنيان ضد القوط الشرقيون, فقد اعتبر الرومان ان القوط كفرة وملحدين وانهم اضطهدوا المسيحين الموجودين في ايطاليا, وكان هذا العامل هو ايضا احد اسباب حروبه ضد بلاد فارس الذين كانوا يتبعون الديانة الزرادشتية والتي اعتبرها الرومان ديانة كافرة .

كان للعوامل الداخلية داخل ايطاليا و الانقسامات داخل البلاط الايطالي ، اثرا في تشجيع جستنيان في التدخل و محاولة الهجوم عليها و احتلالها ، اما العامل النفسي للإمبراطور جستنيان الاثر الاكبر في تلك الحروب، اذ شعر انه ورث امبراطورية عظيمة و عليه المحافظة عليها ، وان الواجب الديني يفضي عليه وجوب استرجاع اراضيها المنهوبة من قبل البرابرة القوط و من بلاد الفرس المنافسة الدائمة للإمبراطورية البيزنطية ، واراد ان يخلد اسمه بانتصارات كبيرة على دول كبرى ليكون مثل الاباطرة القدماء كقسطنطين الكبير الذين عملوا على توسيع حدود دولتهم حتى اصبحت امبراطورية مترامية الاطراف.

تعد تجارة الحرير وهيمنة بلاد فارس من الاسباب المهمة التي دفعت جستنيان على حربه ضد بلاد فارس، لأنه اراد التخلص من احتكار الفرس لتلك التجارة والعمل على معرفة صناعتها وطرق تجارتها، لتكون موردا اقتصاديا للإمبراطورية، وليضرب الاقتصاد الفارسي، اذ كانت بلاد فارس تعد من أكثر البلدان المنتجة لتلك الصناعة وتدر عليها اموالا طائلة، وعلى الرغم من الاضرار الجسيمة لحروبه، الا انه في النهاية تمكن من ان يجعل بيزنطة واحدة من اهم الدول المنتجة للحرير والمصدرة له.

References

‘Abd al-Ḥamīd, Ra’fat. (2002). Al-Fikr al-siyāsī al-Ūrūbbī fī al-‘uṣūr al-Wusṭá. Al-Qāhirah : Dār Qibā’.

Al-Bāz al-‘Arīnī, al-Sayyid. (1965). Al-dawlah al-Bīzanṭīyah 323-1081. Bayrūt : Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Al-Ḥaydarī, Ṣalāḥ ‘Abd al-Hādī. (1986). Dirāsāt fī al-tārīkh al-Sāsānī wālbyznṭy. Al-Baṣrah : Wizārat al-Ta‘līm al-‘Ālī.

Al-Maghribī, Muḥammad ‘Abd al-Shāfī. (2002). Mamlakat al-Khazar al-Yahūdīyah wa-‘alāqātuhā bi-al-Bīzanṭīyīn wa-al-Muslimīn fī al-‘uṣūr al-Wusṭá. Al-Iskandarīyah : Dār al-Wafā’.

Alqrywny, Rīm., wa-‘Abd al-Hādī, Sāmir. (2023). Ta‘āruḍ al-Mu‘āhadah ma‘a al-Dustūr bayna al-sharī‘ah wa-al-qānūn. Majallat abtkārāt lil-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, al-mujallad al-Awwal, al-‘adad al-Thānī, ṣafḥah 4.

Al-Shā‘ir, Fatḥī. (1989). Al-siyāsah al-Sharqīyah ll’mbrāṭwryh al-Bīzanṭīyah fī al-qarn al-sādis al-Mīlādī. Al-Qāhirah : al-hay’ah al-Miṣrīyah.

Al-Shaykh, Muḥammad Muḥammad Mursī. (1994). Tārīkh al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyah. Al-Iskandarīyah : Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah.

Al-Yūsuf, ‘Abd al-Qādir. (1984). Al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyah. Bayrūt : Dār al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

‘Āshūr, ‘Abd al-Fattāḥ Sa‘īd. (1976). Tārīkh Ūrūbbā fī al-‘uṣūr al-Wusṭá. Bayrūt : Dār al-Nahḍah.

‘Aṭā, Zubaydah. (D. T). Bilād al-Turk fī al-‘uṣūr al-Wusṭá. Al-Kuwayt : Dār al-Fikr al-‘Arabī.

‘Awaḍ, Muḥammad Mu’nis. (1998). Fī al-ṣirā‘ al-Islāmī al-Ṣalībī : al-siyāsah al-khārijīyah lil-dawlah 1146-1174. Al-Qāhirah : Dār al-Ṭalī‘ah.

Brwkwbyws. (2001). Al-tārīkh al-sirrī lbrwkwbyws. Al-Qāhirah : ‘Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth.

Byghwlyfskā. (1985). Al-‘Arab ‘alá ḥudūd Bīzanṭah (tarjamat : Ṣalāḥ al-Dīn ‘Uthmān). Al-Kuwayt : Qism al-Turāth.

Bynz, nwrmān. (1950). Al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyah (ta‘rīb : Ḥusayn m’nsw wa-Maḥmūd Yūsuf Zāyid). Al-Qāhirah : Maṭba‘at Lajnat al-Ta’līf wa-al-Tarjamah.

Durant, wul. (1973). Qiṣṣat al-Ḥaḍārah (Muḥammad Badrān wa-ākharūn, al-Mutarjimūn). Al-Qāhirah : Jāmi‘at al-Duwal al-‘Arabīyah.

Faraj, Wisām ‘Abd al-‘Azīz. (1982). Dirāsāt fī Tārīkh wa-ḥaḍārah al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyah 324-1025. Al-Manṣūrah : Jāmi‘at al-Manṣūrah.

Faraj, Wisām ‘Abd al-‘Azīz. (anẓura al-maṣdar al-sābiq). Ṣ 66.

Fisher, H. A. L. (1976). Tārīkh Ūrūbbā fī al-‘uṣūr al-Wusṭá (tarjamat : Muḥammad Muṣṭafá Ziyādah wa-al-sayyid al-Bāz al-‘Arīnī), al-Ṭab‘ah 6. Al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif.

Ghunaym, asmt. (1977). Imbarāṭūrīyat jstnyān. Jiddah : Dār al-Majma‘ al-‘Ilmī.

Hāyd. (1985). Tārīkh al-Tijārah fī al-Sharq al-Awsaṭ fī al-‘uṣūr al-Wusṭá (tarjamat : Aḥmad Riḍā). Al-Qāhirah : al-hay’ah al-Miṣrīyah.

Hsy, J. M. (1997). Al-‘ālam al-Bīzanṭī (tarjamat : D. Ra’fat ‘Abd al-Ḥamīd). Al-Qāhirah : ‘Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth.

Klūd, Jān. (2008). Tārīkh Bīzanṭah (tarjamat : Jūrj zytāty). Bayrūt : Dār al-Kitāb wa-al-Barīd.

Kwtwzyān, hwmā. (2014). Al-Furs Īrān fī al-‘uṣūr al-qadīmah wa-al-wusṭá wa-al-ḥadīthah (tarjamat : Aḥmad Ḥasan al-Mu‘īnī). Bayrūt : Jadāwil lil-Nashr.

Nykwl, dwnāld. (2003). Mu‘jam al-tarājim al-Bīzanṭīyah (tarjamat : U. D. Ḥasan Ḥabashī). Al-Qāhirah : al-hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah.

Rabī‘, Ḥasanayn Muḥammad. (1983). Dirāsāt fī Tārīkh al-dawlah al-Bīzanṭīyah. Al-Qāhirah : Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Rustum, Asad. (1956). Al-Rūm fī siyāsatihim wa-ḥaḍāratihim wa-dīnahum wa-thaqāfatihim wa-ṣilātahum bi-al-‘Arab (al-juz’ 2). Bayrūt : Dār al-Makshūf.

Ṣabrah, ‘Afāf Sayyid. (1982). Al’mbrāṭwrytān al-Bīzanṭīyah wa-al-Rūmānīyah al-Gharbīyah fī zaman Charlemagne. Al-Qāhirah : Dār al-Nahḍah.

Sālyfān, Rītshārd U. (1985). Warathat al-imbrāṭūrīyah al-Rūmānīyah : al-Gharb al-Jirmānī – al-‘ālam al-Islāmī – al-dawlah al-Bīzanṭīyah (tarjamat : al-Duktūr Jūzīf Nasīm Yūsuf). Al-Iskandarīyah : Mu’assasat Shabāb al-Jāmi‘ah.

‘Ubayd, Isḥāq. (1977). Min al’rk ilá albsfwr. Al-Qāhirah : Dār al-Ṭalī‘ah.

‘Umrān, Maḥmūd Sa‘īd. (2000). Ma‘ālim Tārīkh al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyah : madkhal li-Dirāsat al-tārīkh al-siyāsī wālḥrby. Al-Suways : Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah.